فلسفة الاغتراب عند ابن قيم الجوزية

د/ سها عبد المنعم منصور شبايك (*)

مقدمة

لقد شاع مفهوم الاغتراب، وأصبح ظاهرة إنسانية امتد وجودها ليشمل مختلف أنماط الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وتزايدت مشاعر هذا الاغتراب وتعددت؛ نتيجة لطبيعة العصر الذي يعيشه الإنسان، عصر المتغيرات والمتناقضات، عصر طغت فيه المادة على كل القيم الأخلاقية والمعاني الإنسانية السامية؛ مما أدى إلى إصابة الإنسان بكثير من المشاكل والاضطرابات.

مما حدا الباحثين والدارسين إلى الوقوف على هذه الظاهرة، محاولين أن يقفوا على أسبابها ودواعيها.

فتعددت الدراسات والأبحاث كل يعكس مفهومه ووجهة نظره، فمنهم من تناوله من وجهة نظر دينية، ومنهم من تناوله من وجهة نظر فلسفية أو اجتماعية أو نفسية، ولكن كان الهدف النهائي لكل هذه الدراسات هو إيجاد حل لهذه المشكلة المعقدة التي حدت بالإنسان إلى صراعات مع وجوده وذاته ومجتمعه؛ فجعلته يهوى في هوة الاغتراب.

لذلك ومن هذا المنطلق آثرت أن أتناول هذه الظاهرة من وجهة نظر الإمام الكبير ابن قيم الجوزية كمفكر له رؤية وفكر كانتا لهما صداهما على الواقع المعاصر.

(*) مدرس بقسم الفلسفة، كلية البنات – جامعة عين شمس.

وإذا كنا سنعرض لفكر ابن القيم فنحن لا نغفل أن حالة الاغتراب التي كان يعيشها الإنسان بالأمس اختلفت اختلافًا جذريًا كليًا عن حالته اليوم؛ فالحياة قديمًا لم تكن بكل هذا التعقيد والاضطراب، كما هو الحال الآن. أيضًا اختلاف العصر الذي عاشه ابن القيم والعصر الذي نحن فيه جعل هناك اختلافًا في كل المعايير الأخلاقية والاجتماعية والسياسية، ومع ذلك هناك دائمًا حلقة وصل بين القديم والمعاصر. فإحساس الإنسان بالاغتراب واحد وإن اختلفت منابعه وأشكاله، فالإنسان هو الإنسان في كل زمان ومكان. لذلك حاولت من خلال هذا البحث أن أناقش هذه الفكرة عند ابن القيم وكيف عبر عنها من منظور ديني وفلسفي، وكيف وجد أن حالة الاغتراب هذه تولدت عن طريق انفصال الإنسان عن الله وانفصال الإنسان عن الآخر وعن الطبيعة، أيضًا ناقش أن حياة الإنسان على الأرض ما هي إلا غربة عن وطنه الأسمى وطنه السماوي، إذن سأحاول أن أعرض هذه الفكرة عند ابن القيم وكيفية تناوله لها مع ربط القديم بالمعاصر في محاولة لإثراء هذه الفكرة.

ولكن في البداية سأحاول أن أقف على هذا المفهوم لغة واصطلاحًا.

أولا: مفهوم الاغتراب في اللغة:

ترد الكلمة العربية غ ر ب – "الغربة الاغتراب" تقول: "تغرب" و"اغترب" بمعنى فهو "غريب" و"غُرُب" بضمتين والجمع "الغرباء". والغرباء أيضًا الأباعد، و"اغترب فلان إذا تزوج إلى غير أقاربه. وفي الحديث "اغتربوا لا تضووا". وتفسيره مذكور في ض و ي – و"التغريب" النفي عن البلد، و"أغرب" جاء بشيء غريب وأغرب أيضًا صار غريبًا [1].

(١) انظر : محمود خاطر بك، مختار الصحاح، باب الغين، ص٤٧٠، القاهرة، المطبعة الأميرية ببولاق ١٣٥٥ هـ– ١٩٣٧م.

أيضا في لسان العرب تعني كلمة غربة البعد والنوى، "فغريب أي بعيد عن وطنه والجمع غرباء والأنثى غريبة" والغرباء هم الأباعد [١].

ثانيًا: مفهوم الاغتراب في الاصطلاح:

فقد عبر عن مفهوم الغربة، والاغتراب، والاستلاب: بمعنى أن لا يكون الشيء في مكانه، أو الشخص في بيئته وموطنه. نقول: إن فلانًا يعيش في غربة، أو يستشعر الغربة بمعنى أنه والمكان الذي هو فيه متخالفان. والاغتراب افتعال الغربة، وهي لفظة كثُر استخدامها في الفلسفة الآن والعلوم والقانون بمعان متباينة بحسب هذه المجالات. ويكاد يكون هيجل هو أول من أدخلها كاصطلاح في لغة الفكر، وعنده أن العقل المطلق أو الله بخلقه للطبيعة والإنسان قد طرح جزءًا منه خارجه، فاستحال هذا الجزء غريبًا عليه، لكن الإنسان دون الطبيعة هو الذي يحاول أن يرفع هذه الغربة، فيعيد إلى الله سيطرته على الطبيعة من خلال فهمه وسيطرته عليها، أي أن العقل المطلق يستعيد الطبيعة من خلال فهم العقل المتناهي (الإنسان) لها والسيطرة عليها، وليس التاريخ سوى محاولة الإنسان الدائبة أن يتعرف على الطبيعة؛ ومن ثم تنمية وعيه بالمطلق [٢].

أيضًا حوى المصطلح الفلسفي معاني عديدة للاغتراب، منها فقدان الذات، القلق، اليأس، الوحدة، العزلة، التشاؤم. وهذه الأحوال وجدت بشكل واسع في واقعنا المعاصر الذي أصبح يحوي كثيرًا من المتناقضات والصراعات؛ جعلت الإنسان المعاصر يستشعر كل هذا. ولنأخذ بعض هذه الحالات ونعرضها من خلال المصطلح الفلسفي؛ لأنها في النهاية كلها أشكال للاغتراب، فمثلا لفظ:

---

(١) انظر ابن منظور/ لسان العرب/ ص١٢٩/ المؤسسة المصرية للتأليف والنشر.

(٢) انظر/ د. عبد المنعم الحفني/ موسوعة الفلسفة والفلاسفة/ ص١٥٣، ١٥٤/ مكتبة مدبولي/ ط٢/ ١٩٩٩م.

تشاؤم Pessimism, Pessimisme

نظرية ترجع إلى شوبنهور، وتدور على أن العالم رديء بالذات، وأن الألم قانون الحياة ونسيجها. وفي مقابله "تفاؤل".

تشخص Individuation

(١) هذا اللفظ أدخله ابن سينا في اللغة الفلسفية، ومعناه ما يتعين به شخصًا (نجاة، ١٨٤).

(٢) مبدأ التشخيص Principe ما يجعل من الوجود نسيج وحده "إذا وجدت متشخصة فإن مبدأ تشخصها يلحق من الهيئات " (نجاة، ١٨٤)[١].

قلق Anxiety, Angoisse

يعني هذا اللفظ في الفلسفة المعاصرة "هذا الإحساس الذي يشدنا من العدم في كل لحظة، ويفتح أمامنا طريق المستقبل" (لالاند).

وفي علم النفس العام ذاع استخدامه بمعنى مغاير، إذ يفيد عدم الرضا بالوضع الراهن والتطلع إلى ما هو غير ذلك، وفي علم النفس المرضي يفيد الاضطراب العقلي أو العاطفي (لالاند) [٢].

الوحدة أو وحدية كما توجد في المعجم الفلسفي Egoism

الوحدي هو الفيلسوف الذي يقرر أن الوجود الحق هو وجود الأنا، أما وجود الآخر فهو إما وهم، وإما أمر مشكوك فيه [٣].

---

(١) انظر/ يوسف كرم، د. مراد وهبة، يوسف شلالة/ المعجم الفلسفي/ ص٣٩، ٤٠/ القاهرة/ ١٩٦٦م.

(٢) المرجع السابق/ص١٣٠.

(٣) المرجع السابق/ص١٨٦.

مفهوم الاغتراب في المعجم الصوفي:

عبر المعجم الصوفي عن الغربة بقوله: "تقال الغربة في الاغتراب عن الحال. والغربة عن الحق غربة عن المعرفة بالدهش.

أيضًا استخدم المعجم لفظ غرباء وفسر هذا اللفظ بقوله : "يسمى الصوفية غرباء لخروجهم عن الأوطان، وما من بلد فيه من الصوفية أحياء أو أموات إلا وهم من الغرباء. والصوفي بطبعه ميال للأسفار، ويسمونه طيارًا لهذا السبب، وهو غريب وإن كان قريبًا؛ لأن قربه من الله تعالى وليس من الأغيار، ويروى عن الرسول (ﷺ) أنه قال: أحب شيء إلى الله الغرباء، قيل: وما الغرباء يا رسول؟ قال: الفرارون بدينهم. [١]

إذن كل ما سبق من مفاهيم ومعان أوضحها المصطلح اللغوي والفلسفي للاغتراب تعبر عن أن مصادر الاغتراب متنوعة ولكن مظاهره واحدة.

وهذا ما أكده د/ مجاهد في كتابه "الفلسفة على شجرة المستقبل"، حيث قال إن "مصادر الاغتراب ومنابعه متعددة، لكن مظاهره واحدة؛ وذلك لأن أعراض العزلة والاغتراب تعكس حالة شخص تكون علاقته بالعالم قد تحطمت "[٢].

ولنتعرف أكثر على هذه الظاهرة وماذا تعنيه اجتماعيًا ونفسيًا.

ظاهرة الاغتراب:

إذا تتبعنا هذا المفهوم عبر مسيرة الفكر الإنساني نلاحظ تعدد بل تشتت تفسيراته ومضامينه؛ مما يؤكد طابعه المركب؛ حيث لقى الكثير من

---

(١) انظر عبد المنعم الحفني/ المعجم الصوفي/ ص١٨٣/ دار الرشيد/ ط١ ١٩٩٧م.

(٢) انظر / د.مجاهد عبد المنعم مجاهد/ الفلسفة على شجرة المستقبل/ ص٥٩، ٦٠/ دار الثقافة للنشر والتوزيع / القاهرة، ٢٠٠١م.

الاهتمام لدى المفكرين ، من روسو إلى هيجل وماركس ونيتشه، بحيث يحمل عدة معانٍ تتراوح بين مختلف المواقع الأيديولوجية [١].

فمثلا "إن في ظاهرة الاغتراب كما هي (مستمدة) من ماركس وكما هي مستخدمة عند المثقفين اليوم معنى مزدوجًا يحسن أن نسمه بالغربة Estangement والتشيؤ Reification، فالغربة هي أساسًا حالة اجتماعية نفسية منها يمارس الفرد إحساسًا بالمسافة أو الانفصال عن مجتمعه أو جماعته، وبأنه لا يستطيع أن يمت إليه، وبأنه منسلخ. والتشيؤ هي أن الفرد يعامل كشيء ويتحول إلى شيء ويفقد ذاته في العملية، بالمصطلح المعاصر: أنه ينزع عن شخصيته Depersonalijed. إن الاغتراب ليس أنواعًا، بل هو نوع واحد فيه يدرك الإنسان أنه ليس عين نفسه، وأنه منفصل عن نفسه، منفصل عن عالمه وعن رفاقه.. فجذورها تضرب إلى ما تحت المستويات الاجتماعية إلى اغتراب عن العالم الطبيعي، بالمثل إنها تجربة خاصة بالعزلة الابستمولوجية. "فوراء الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والنفسية للاغتراب، يمكن أن يوجد انسلاخ عام عميق، ألا وهو الاغتراب الذي هو النتيجة القصوى لأربعة قرون من العمل على فصل الإنسان كذات عن العالم الموضوعي " [٢].

كان هذا عرض تمهيدي لهذه الظاهرة قبل أن أشرع في شرح فكر ابن القيم عن الاغتراب، ولكن كان لا بد أن أبين أن فكرة الاغتراب في كل وقت تستحق الدراسة والبحث، ولكن ما يحدث الآن يستحق الدراسة ألف مرة؛ لأن ما يعانيه الإنسان المعاصر اليوم جعلته يستشعر أقسى حالات الاغتراب؛ مما انعكس عليه في صور شتى من قلق وخوف ووحدة ويأس،

---

(١) انظر/ سمير الفقي/ بين عقلانية الصوفية وشطح الأنثروبولوجيا/ ص١.

(٢) انظر/ د. مجاهد عبد المنعم مجاهد/ مرجع سابق/ ص٦٠، ٦١.

فإذا اطلعنا على مفهوم الاغتراب عند ابن القيم، والعوامل التي أدت إلى ذلك – فلا بد أن هناك ارتباطًا بين مفهوم ابن القيم وما نعانيه اليوم وإن كثر؛ لذلك سأحاول أن أبين أن ما عاناه الإنسان بالأمس يكاد يكون هو نفسه ما عاناه اليوم مع التغير في الظروف التي يحملها كل عصر. لذلك سأحاول أن أعرض كيف أسهم هذا المفهوم عند ابن القيم إلى العودة بالإنسان المعاصر من هذه الحالة التي تملكت كل كيانه ووجوده.

فلسفة الغربة عند ابن قيم الجوزية

بدأ ابن القيم [1] بتعريف الغربة قبل الاغتراب، فنجده في باب الغربة يقول: " قال الله تعالى : ﴿ فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ﴾ [2].

فكان استشهاده بهذه الآية في هذا الباب يدل على رسوخه في العلم والمعرفة، وفهم القرآن. فإن الغرباء في العالم : هم أهل هذه الصفة المذكورة في الآية. وهم الذين أشار إليهم النبي (ﷺ) في قوله: " بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء. قيل: ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال: الذين يصلحون إذا فسد الناس" [3].

---

(١) ابن قيم الجوزية (٦٩١- ٧٥١هـ/١٢٩٢- ١٣٥٦م) هو شمس الدين أبو عبد الله بن أبي بكر. ومعنى ابن قيم الجوزية أنه كان ابن القيم على المدرسة الجوزية بدمشق، وهو تلميذ الإمام ابن تيمية بمعنى الكلمة، فقد تابع شيخه على مذهبه حتى ناله الاضطهاد الذي نال شيخه في حياته، وألقي به في السجن عندما حرم الحج إلى مدينة الخليل حيث مسجد النبي إبراهيم. وكان أستاذه يحارب الفلاسفة، وله مؤلفات كثيرة منها "شفاء العليل" في القضاء والقدر والطرق الحكمية في السياسة الشرعية، و"مدارج السالكين في منازل السائرين" في التصوف. وله أيضًا "هداية الحيارى من اليهود والنصارى". انظر موسوعة الفلسفة والفلاسفة/ د. عبد المنعم الحفني/ ص٦٢.

(٢) سورة هود آية ١١٦.

(٣) حديث صحيح: أخرجه مسلم (ج١- إيمان / ٢٣٢) عن أبي هريرة والترمذي (ج٥/ ٢٦٩٢) عن ابن مسعود وابن ماجة (ج٢/٣٩٨٧) عن أنس، وأحمد (ج١/١٨٤)عن سعد.

إذن بدأ الشيخ حديثه عن الغربة بغربة أهل الدين في زمان فسد فيه الناس، وابتعدوا عن دينهم، هؤلاء هم الغرباء الممدوحون المغبوطون. ولقلتهم في الناس جدًّا سموا غرباء؛ فإن أكثر الناس على غير هذه الصفات، فأهل الإسلام في الناس غرباء. والمؤمنون في أهل الإسلام غرباء. والداعون إليها الصابرون على أذى المخالفين: هم أشد هؤلاء غربة [(١)].

إذا حللنا هذا الكلام وربطناه بما يحدث اليوم من هجمات شرسة وقوية على الإسلام ألا يسمى هذا غربة واغترابًا، إذا تبينا اليوم مجتمعاتنا الإسلامية التي يحاول الغرب أن يحكم سيطرته عليها في محاولة منه أن يطمس هويتها وينقلها من مجتمعات تنظمها أعراف الدين وقوانين الشريعة الإسلامية إلى حياة أبعدت سلطان الشرع وأبعدت الإسلام بتربيته وتعاليمه ونظامه من حياة المسلمين، ثم ركزت على تشكيكهم في عقيدتهم وشريعتهم؛ فانتشرت الفوضى باسم الحريات الشخصية، وأباحت للفرد فجأة أن يستقل بأهوائه ونزواته وآرائه، ألا يسمى هذا اغترابًا؟!

فنحن غرباء اليوم في مجتمعاتنا بهذا الموقف السلبي الذي نقفه تجاه ديننا وهويتنا. أهملنا هذه الرسالة الإنسانية النبيلة التي خاطبت الروح قبل أن تخاطب الأجساد. ولكن مهما كثرت سهام الأعداء علينا فهناك من يتمسك بدينه وإيمانه ويعض على عقيدته بالنواجز.

يقول ابن قيم الجوزية : "ولكن هؤلاء هم أهل الله حقًّا. فلا غربة عليهم، وإنما غربتهم بين الأكثرين الذين قال الله عز وجل فيهم: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ ﴾ [(٢)].

---

(١) انظر / ابن قيم الجوزية/ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين/ تحقيق عماد عامر / ص١٥٦، ١٥٧. دار الحديث ٢٠٠٣.

(٢) الأنعام آية: ١١٦.

فأولئك هم الغرباء من الله ورسوله ودينه، وغربتهم هي الغربة الموحشة، وإن كانوا هم المعروفين المشار إليهم كما قيل:

فليس غريبًا من تناءت دياره ولكنّ من تنأين عنه غريب

وقد قال نافع عن مالك: دخل عمر بن الخطاب المسجد، فوجد معاذ ابن جبل جالسًا إلى بيت النبي (ﷺ)، وهو يبكي، فقال له عمر: ما يبكيك، يا أبا عبد الرحمن؟ هلك أخوك؟ قال: لا، ولكن حديثًا حدثنيه حبيبي (ﷺ)، وأنا في هذا المسجد، فقال: ما هو؟ قال: "إن الله يحب الأخفياء الأحفياء الأتقياء الأبرياء، الذين إذا غابوا لم يفتقدوا، وإذا حضروا لم يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى، يخرجون من كل فتنة عمياء مظلمة"[1].

هؤلاء هم الغرباء الممدوحون المغبطون، أيضًا لمّا خرج موسى – عليه السلام –هاربًا من قوم فرعون انتهى إلى مدين، على الحال الذي ذكر الله. وهو وحيد غريب خائف جائع، فقال: "يا رب، وحيد مريض غريب، فقيل له: يا موسى، الوحيد: من ليس له مثلي أنيس، والمريض: من ليس له مثلي طبيب، والغريب: من ليس له بيني وبينه معاملة "[2].

وقد قسم ابن القيم الغربة إلى أنواع: أولها غربة أهل الله وأهل سنة رسوله بين هذا الخلق.

أما النوع الثاني من الغربة فهي غربة مذمومة، وهي غربة أهل الباطل، وأهل الفجور بين أهل الحق.

والنوع الثالث: غربة مشتركة، لا تحمد ولا تذم، وهي الغربة عن الوطن.

---

(١) انظر ابن القيم/ مدارج السالكين/ ص١٥٧. أيضًا انظر سنن ابن ماجة/ باب من ترجى له السلامة من الفتن/ ج١١ ص٤٨٩.

(٢) انظر ابن القيم/ مدارج السالكين/ ص١٥٨.

أولا: غربة أهل الله

هذه الغربة كما وصفها ابن قيم الجوزية هي الغربة التي مدح رسول الله (ﷺ) أهلها، وأخبر عن الدين الذي جاء به: "أنه بدأ غريبًا"، وأنه "سيعود غريبًا كما بدأ"، وأن "أهله يصيرون غرباء".

وهذه الغربة قد تكون في مكان دون مكان، ووقت دون وقت، وبين قوم دون قوم، ولكن أهل هذه "الغربة" هم أهل الله حقًا. فإنهم لم يأووا إلى غير الله، ولم ينسبوا إلى غير رسول الله (ﷺ)، ولم يدعوا إلى غير ما جاء به، وهم الذين فارقوا الناس أحوج ما كانوا إليهم، فإذا انطلق الناس يوم القيامة مع آلهتهم بقوا في مكانهم، فيقال لهم: "ألا تنطلقون حيث انطلق الناس؟ فيقولون: فارقنا الناس ونحن أحوج إليهم منا اليوم، وإنا ننتظر ربنا الذي لنا نعبده" (١).

هذه الغربة لا وحشة على صاحبها، بل هو أنس ما يكون إذا استوحش الناس، وأشد ما يكون وحشته إذا استأنسوا، فوليه الله ورسوله والذين آمنوا، وإن عاداه أكثر الناس وجفوه (٢).

يقول الإمام القشيري في الرسالة القشيرية: "العارف أنس بذكر الله فأوحشه من خلقه، وافتقر إلى الله فأغناه عن خلقه، وذل لله فأعزه في خلقه" (٣).

---

(١) جزء من حديث صحيح في رؤية الله عز وجل يوم القيامة، أخرجه البخاري/ صحيح البخاري/ دار إحياء الكتب العربية/ ١٢٩٣م.

(٢) انظر ابن القيم/ مدارج السالكين/ ص١٥٨.

(٣) انظر الإمام أبي القاسم عبد الكريم القشيري/الرسالة القشيرية/تحقيق عبد الحليم محمود/ د. محمود بن الشريف/ ج٢/ ص٤٨١/ باب المعرفة بالله/ دار المعارف/ د.ت.

وقد عبر المعجم الصوفي عن الأنس بالله بقوله: " قيل: الأنس أن تأنس بالأفكار فتغيب عن رؤية الأغيار. وقيل: إن لله تعالى عبادًا استأنسوا بالله فكانوا في وحدتهم أشد استئناسًا من الناس في كثرتهم" (١).

وفي هذا يقول الفيلسوف الألماني بول تيليش وصفًا للتجربة الصوفية: "تكافح الذات الفردية في إطار الصوفية من أجل المشاركة في أساس الوجود، وكل الصوفية يستمدون قوة التأكيد الذاتي الخاصة بهم من تجربة قوة الوجود ذاته الذي يتحدون معه" (٢).

يبدو أن ما تحدث عنه بول تيليش في القرن العشرين سبق للحلاج الذي استشهد في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي أن طرحه في أشعاره وصوفيته.. إن تجربته الصوفية تأكيد لقوة الوجود فيه كمحاولة للتوحد مع الله ومع العالم وقهر الخواء والعدم المحيط بالذات والعالم (٣).

لقد سار الحلاج على طريق الروح.. لقد كان سالكًا طريق المحبة لله.. تغرب عن ذاته الجزئية وتنكر لها.. وسلك سعيًا وأملاً في الوصول إلى ذات الله لمشاهدة جمال الذات الإلهية والعيش في فيضها، وبعدها يعود إلى الخلق في ضوء جديد بعد أن يكون قد أسقط رق الأشياء والناس.

يقول: " من خاف من شيء سوى الله أو رجا سواه أغلق عليه أبواب كل شيء وسلط عليه المخافة وحجبه بسبعين حجابًا أيسرها الشك " (٤).

ومن هؤلاء الغرباء: من ذكرهم أنس في حديثه عن النبي (ﷺ): "رب أشعث أغبر، ذي طمرين لا يؤبه له – لو أقسم على الله لأبره" (٥).

---

(١) انظر عبد المنعم الحفني/ المعجم الصوفي/ ص٣٥.

(٢) مجاهد عبد المنعم مجاهد/ من القلق حتى الأمل/ ص٧٦/ مكتبة الأنجلو.

(٣) المرجع السابق/ ص٧٦.

(٤) المرجع السابق/ ص٧٧.

(٥) انظر /حديث صحيح أخرجه الترمذي/ج٥ ٣٨٥٤، عن أنس، ابن ماجه/ج٢ ٤١١٤/عن معاذ.

هؤلاء الغرباء من صفاتهم التمسك بالسنة، إذا رغب عنها الناس، وتجريد التوحيد وإن أنكر ذلك أكثر الناس، فهم غرباء منتسبون إلى الله بالعبودية له وحده، وإلى رسوله بالاتباع لما جاء به وحده. وهؤلاء هم القابضون على الجمر حقًا، وأكثر الناس – بل كلهم – لائم لهم [(١)].

ولهذا جعل للمسلم الصادق في هذا الوقت – إذا تمسك بدينه – أجر خمسين من الصحابة كما ورد في الحديث الصحيح.

وهذا الأجر العظيم إنما هو لغربته بين الناس، والتمسك بالسنة بين ظلمات أهوائهم وآرائهم.

وبالجملة: فهو غريب في أمور دنياه، لا يجد من العامة مساعدًا ولا معينًا، فهو عالم بين جهال، صاحب سنة بين أهل بدع، داع إلى الله ورسوله بين دعاة إلى الأهواء والبدع، آمر بالمعروف، ناهٍ عن المنكر بين قومٍ المعروفُ لديهم منكر والمنكر معروف [(٢)].

وهذا عين ما يحدث الآن في عصرنا هذا، فازدادت الغربة، وازدادت الوحشة، وهذه الغربة لم تكن جراء هجمات الغرب علينا فقط، ولكن شارك في صنعها المسلمون أنفسهم عندما أهملوا علوم دينهم، والنظر في أقوال سلفهم، وصح فيهم ما قال عمر الخيام في بعض أشعاره الفارسية مخاطبًا النبي (ﷺ): "إن الذين جاءوا بعدك زينوا لك دينك ووشوه وزركشوه؛ حتى لو رأيته أنت لأنكرته". فهذا الصنف من المسلمين – وهم معظمهم – قد أنكر دينه الحق وعاداه، لم يعرف عن السلف اختصاصهم بالثقة، ولم يسمح الدين باختصاصهم بالتقليد، فإذا وقع من هذا الصنف ما فيه أذى للعلم وأهله، فهل بعد ذلك يصح أن يعد واقعًا من دين الإسلام [(٣)].

---

(١) ابن القيم/ مدارج السالكين/ ص١٥٩.

(٢) انظر ابن القيم/ مدارج السالكين/ ص١٦٠، ١٦١.

(٣) انظر الشيخ محمد عبده/ الإسلام بين العلم والمدنية/ ص٢٠٥، ٢٠٦.

وسط هذا كله كيف لا يكون المؤمن السائر إلى الله على طريق المتابعة غريبًا بين هؤلاء الذين قد اتبعوا أهواءهم، وأطاعوا شحهم، وأعجب كل منهم برأيه؟ كما قال الرسول (ﷺ): "مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، حتى إذا رأيتم شحًّا مطاعًا، وهوى متبعًا، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، ورأيت أمرًا لا يد لك به – فعليك بخاصة نفسك. وإياك وعوامهم؛ فإن وراءكم أيامًا صبر الصابر فيها كالقابض على الجمر" (١).

إذن المؤمن بين هؤلاء غريب في دينه؛ لفساد أديانهم، غريب في تمسكه بالسنة؛ لتمسكهم بالبدع، غريب في اعتقاده؛ لفساد عقائدهم، غريب في صلاته؛ لسوء صلاتهم، غريب في طريقه؛ لضلال وفساد طرقهم (٢).

يورد ابن القيم في كتاب "الفوائد" حال المؤمن وغربته بين أهل الأهواء والبدع، في قوله: "تزخرف الشهوات لعين الطباع، فغض عنها الذين يؤمنون بالغيب، ووقع تابعوها في بيداء الحسرات، فـ ﴿أُولَـئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٣)، وهؤلاء يقال لهم: ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾ (٤).

لما عرف الموفقون قدر الحياة الدنيا وقلة المقام فيها أماتوا فيها الهوى طلبًا لحياة الأبد، ولما استيقظوا من نوم الغفلة استرجعوا بالجد ما انتهبه العدو منهم في زمن البطالة، فلما طالت عليهم الطريق تلمحوا المقصد فقرب عليهم البعيد، وكلما أمرت لهم الحياة حلي لهم تنكر ﴿هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (٥).

---

(١) حديث ابن ثعلبة حسن:أخرجه أبو داود (ج٤/٤٣٤١). انظر أيضًا مدارج السالكين/ ص١٦٠.

(٢) المرجع السابق/ ص١٦١.

(٣) سورة لقمان آية ٥.

(٤) سورة المرسلات آية ٤٦.

(٥) سورة الأنبياء آية ٤٦. انظر أيضًا ابن القيم/ الفوائد / ص٤٨.

وهذا ينطبق على المؤمنين في واقعنا المعاصر الذين هم أنفسهم في حالة من الغربة عن جملة المجتمع الإسلامي، والافتراق بين قيمهم من جهة، وبين الواقع المعيش؛ حتى في إطار المؤسسة الاجتماعية الإسلامية من جهة أخرى [1].

إذن فطوبى للغرباء! كما وضحه الحديث الشريف؛ إذ لا يعتبر الإيمان في الإسلام بحد ذاته كافيًا، ولا هو بالحل الناجز لغربة الإنسان! بل إن هذه الغربة باقية نتيجة اختلاف المفاهيم والقيم والأخلاق الاجتماعية المعيشة فعلا عن المفاهيم والقيم النابعة من الرؤية المتبصرة العميقة للمؤمن الحقيقي الذي يصير كالقابض على الجمر، حتى في المجتمع وفي إطار المؤسسة الإسلامية طوبى للغرباء الذين يعانون من الغربة، لا بمعناها الجغرافي والمادي، بل بمعناها الروحي والنفسي. طوبى للغرباء من المؤمنين؛ لأن في غربتهم ألمًا، فليثابوا عليه. وبالتالي لا ينظر هنا للغربة على أنها ظاهرة غير مفيدة، أو أن من الممكن تجنبها، بل يشير الحديث الشريف إلى أنها تجل لعمق الإيمان [2].

ثانيًا: غربة أهل الباطل:

أما ثاني أنواع الغربة عند ابن القيم فهي غربة مذمومة، وهي غربة أهل الباطل وأهل الفجور بين أهل الحق. فهي غربة بين حزب الله المفلحين، وإن كثر أهلها فهم غرباء عن كثرة أصحابهم وأشياعهم، أهل وحشة على كثرة مؤنسهم، يعرفون في أهل الأرض ويخفون على أهل السماء [3].

---

(١) انظر سمير الفقي/ الاغتراب بين عقلانية الصوفية وشطح الأنثروبولوجيا/ ص٣/ ٢٠٠٦م.

(٢) نفس المرجع / نفس الصفحة.

(٣) انظر ابن القيم/ مدارج السالكين/ ص١٦١.

وهذه الغربة ما ولدها إلا انفصال الإنسان عن خالقه، وهذا النوع من الاغتراب "اغتراب الإنسان عن الله" يمثل لحظة حاسمة في تاريخ الوجود البشري، وهذه اللحظة تؤرخ لأول كلمة "لا" قالها الإنسان، فقد عصا آدم خالقه، "فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل في الأرض التي أخذ منها" (١).

والاغتراب عن الله وفقًا لهذا المعنى الأخير ليس فقط مجرد علاقة انفصال تمت بعد علاقة وحدة واتصال، وإنما هناك نتائج بالغة الخطورة يمكن أن تترتب على هذا الاغتراب، مثل: الإحساس بالوحدة والضياع، فمنذ تلك اللحظة والإنسان يواجه مصيره وحيدًا، إنه منذ اليوم الذي لم يعد يقطن الجنة، ولم يعد جزءًا من الكل الكوني - لم يعد ينتمي إلى الملكوت، لقد غدا الآن بلا مسكن أو مأوى، بلا انتماء، لقد فقد الحصن والحضن والأمان، وصار وحيدًا يواجه المجهول (٢).

نعم إنه وفقًا للدلالة الوجودية فقد أراد أن يمارس حريته فاختار، لكن نتيجة الاختيار كانت فادحة جدًا، إنها أشبه بقفزة في الظلام وسقوط في هاوية الاختيار وممارسة فعل الحرية، وهي هاوية ترتبط بالقلق لأنها معاناة، معاناة الطريق المجهول الذي بلا علامات، بلا إشارات تحدد معالم الطريق (٣).

إذن كان الأصل فينا هو الوحدة، وليس الانفصال، ولكن الإنسان اختار فوقع في مصيدة الاغتراب.

يقول الأستاذ مجاهد في كتابه "الإنسان والاغتراب": في البدء كانت الوحدة.. هذه هي الحالة التي تسبق الاغتراب، (الوحدة) هي الحركة الأولى في جدل الاغتراب.. يقول القرآن: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُواْ

(١) انظر/ د. حسن حماد/ الاغتراب الوجودي/ مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٩٥/ ص١٤.
(٢) المرجع السابق/ص١٤.
(٣) نفس المرجع/ نفس الصفحة.

وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (١)، ويقول أيضًا: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ (٢).

فرسالة الأنبياء إذن هي القضاء على الانفصال والعودة إلى الوحدة كمحاولة للخروج من مصيدة الاغتراب" (٣).

ولنتوقف هنا للحظات كي نستعرض بعضًا من آراء المعاصرين أمثال هيدجر وسارتر، ورأيهما في تجربة القلق وعلاقتها بالحياة الإنسانية. فكما سبق أن أوضحنا أن الربط بين القديم والمعاصر يجعلنا نتبين أن أسباب الاغتراب واحدة، وإن اختلفت العصور وتغايرت الأزمان.

فهيدجر مثلاً حينما يتحدث عن "القلق" فإنه لا يتحدث عن مفهوم عقلي أو تصور ذهني، بل هو يتحدث عن خبرة معايشة أو عاطفة وجودية تكشف لنا عما في نسيج وجودنا من "هم" Sorge، ويضعنا وجهًا لوجه بإزاء ذلك "العدم" الأصلي الذي يكمن من وراء وجودنا (٤).

وحالة العدم الذي يتحدث عنها هيدجر ما هي إلا شكل من أشكال فقد الأمان والطمأنينة من نفوسنا.

أما سارتر فاستبدل بهذا المفهوم مفهومًا آخر وهو الحاجة Besion، فلقد ذهب إلى أن الوعي البشري – باعتباره حرية – إنما يتعرف على ذاته من خلال "القلق"، فلقد رأى أن الإنسان في صميمه قلق، والحرية الإنسانية هي التي تستطيع أن تنتصر على شتى العوائق، وأن تحيل كل العقبات إلى أدوات (٥).

---

(١) سورة يونس آية ١٩.

(٢) سورة البقرة آية ٢١٣.

(٣) انظر مجاهد عبد المنعم/ الإنسان والاغتراب/ ص٢٧/ سعد الدين للطباعة والنشر/ ١٩٨٥م.

(٤) انظر د.زكريا إبراهيم/ دراسات في الفلسفة المعاصرة/ ص٤٨/ دار مصر للطباعة/د.ت.

(٥) المرجع السابق/ ص٤٩٨.

إذن فمن وجهة نظر هيدجر وسارتر أن الحرية الإنسانية هي التي تجعل الإنسان في تفاعل ونشاط مستمر، وهي التي تجعله يشعر بالآخر، وافتقادها يؤدي إلى القلق وإلى العدم والاغتراب.

أما في الإطار الإسلامي فالاغتراب حدث من انفصال الإنسان عن خالقه، ثم لحظة هبوط الإنسان من السماء وسيطرة النفس اللوامة عليه في حياته على الأرض، هذه اللحظة هي من بين جميع لحظات الإنسان الوجودية أشدها عمقًا وأكثرها إثارة للتوتر والقلق والتأزم (١).

إذن نستطيع أن نقول إن الإنسان بحسب التصور القرآني قد اغترب عن الله، فهبط من السماء وصار موجودًا على الأرض، يعيش في أزمة، منتظرًا عون الله ولطفه، حتى يهديه سواء السبيل، وتكون إليه الرجعى آخر الأمر.

هذا عن الإنسان؛ فماذا عن الله؟ إن الله لا يتخلى قط عن الإنسان في محنته، فهو يشمله برحمة وحب شامل لا محدود، ففي رأي بعض الصوفية أن كلمة "الله" نفسها قد جاءت في العربية من كلمة "أله"، وهذه مشتقة بدورها من "الوله" أي شدة الحب. وعن طريق هذه الرحمة أو هذا الحب يكون خلاص الإنسان من الاغتراب الذي سقط فيه. وإذن، فإذا كان هذا الإنسان قد اغترب عن الله، فإن الله لم يغترب عن الإنسان (٢).

ثالثًا: الغربة عن الوطن

هذه الغربة عند ابن القيم غربة مشتركة، لا تحمد ولا تذم، وهي الغربة عن الوطن . يقول ابن القيم: "فإن الناس كلهم في هذه الدار غرباء.

---

(١) د. حسن حماد/ الاغتراب الوجودي/ص١٤.

(٢) انظر د. محمود رجب/ الاغتراب سيرة ومصطلح/ ص١٨١/ دار المعارف/ ط٤ ١٩٩٣.

فإنها ليست لهم بدار مقام، ولا هي الدار التي خلقوا لها. وقد قال النبي (ﷺ): "كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل" [١].

وهكذا هو في نفس الأمر؛ لأنه لمر أن يطالع ذلك بقلبه، ويعرفه حق المعرفة، وله من أبيات في هذا المعنى:

وحيّ على جنات عدن، فإنها منازلك الأولى، وفيها المُخيَّم
ولكننا سبى العدو، فهل تُرى نعود إلى أوطاننا، ونُسلَّم
وأي اغتراب فوق غربتنا التي لها أضحت الأعداء فينا تحكم
وقد زعموا: أن الغريب إذا نأى وشطت به أوطانه ليس ينعم
فمن أجل ذا لا ينعم العبد ساعة من العمر إلا بعدما يتألمُ [٢]

وقد ذكر ابن العربي في كتابه "الفتوحات المكية" عن هذه الغربة أنها مطلب العارفين؛ ذلك لأن مطلبهم بالغربة عن الأوطان وجود القلب مع الله حيثما وجدوه قاموا في ذلك الموضع. قال بعضهم: "كنت مارًّا إلى مكة، فرأيت في الطريق شابًّا تحت شجرة وهو يصلي في البرية وحده، فقلت له: ألا تمشي إلى مكة؟ فقال لي: كنت أسير إلى مكة عام أول، فلما مررت بهذه الشجرة وجدت قلبي؛ فلي هنا سنة لا أبرح من هذا الموضع، إلا إن فقدت قلبي. قال: فبعد سنة مررت بذلك الموضع وبتلك الشجرة فلم أجد الشاب، فمشيت غير بعيد فإذا الشاب قائم يصلي فسلمت عليه، فعرفني، فقلت له: رأيتك قد تركت تلك الشجرة؟ فقال لي: لما فقدت قلبي أخذت في طريقي الذي نويت أولاً؛ أريد مكة فانتهيت إلى هذا الموضع، فوجدت قلبي. فتركته،

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (ج١١/٦٤١٦)، والترمذي (ج٤/٢٣٣٣)، وابن ماجه (ج٢/٤١١٤) عن ابن عمر.
(٢) ابن القيم/ مدارج السالكين/ ص١٦١.

وانصرفت وما أدري ما انتهى إليه أمره بعد ذلك، فقد يطلبون بالغربة وجود قلوبهم مع الله" [1].

فالعبد كما صور لنا ابن القيم "كيف لا يكون في هذه الدار غريبًا، وهو على جناح سفر، لا يحل عن راحلته إلا بين القبور؟ فهو مسافر في صورة قاعد" [2].

هذه هي الغربة عند ابن القيم نوضح بعد ذلك مفهومه عن الاغتراب.

الاغتراب عند ابن القيم:

قال صاحب المنازل: "الاغتراب: أمر يشار به إلى الانفراد عن الأكفاء".

يريد أن كل من انفرد بوصف شريف دون أبناء جنسه فإنه غريب بينهم؛ لعدم مشاركته أو لقلته [3].

إذن الاغتراب هنا يتمثل في الشعور بوجود الآخر مع النفور والحذر منه [4].

درجات الاغتراب:

قال ابن القيم: "وهو على ثلاث درجات":

أولا: الغربة عن الأوطان:

يقول ابن القيم: " وهذا الغريب موته شهادة ويقاس له في قبره من مدفنه إلى وطنه. ويجمع يوم القيامة إلى عيسى ابن مريم عليه السلام".

---

(١) انظر الفتوحات المكية/ لابن عربي/ ج٤/ ص٢٢٥.

(٢) انظر ابن القيم/ مدارج السالكين/ ص١٦١.

(٣) المرجع السابق/ص١٦٢.

(٤) انظر د.يحيى هويدي/ نحو الواقع مقالات فلسفية/ ص١٦٣/ دار الثقافة والنشر والتوزيع.

لما كانت "الغربة" هي انفرد، والانفراد إما بالجسم، وإما بالقصد والحال، وإما بهما - كان الغريب غريب جسم، أو غريب قلب وإرادة وحال، أو غريبًا بالاعتبارين (١).

أما ابن عربي فيرى الغربة على أنها "أول غربة اغتربناها وجودًا حسيًا عن وطننا، غربتنا عن وطن القبضة عن الأشهاد بالربوبية لله علينا، ثم عمرنا بطون الأمهات، فكانت الأرحام وطننا، فاغتربنا عنها بالولادة" (٢).

إذن فقد عبر الصوفية عن هذا المفهوم بعملية الانفصال بعد الاتصال، فالاتصال أمان وطمأنينة والانفصال غربة وضياع وخوف.

أيضًا يرى د. حسن حماد أن هذا الاغتراب يسمى بالاغتراب الديني، وبأن هذا الاغتراب معطى من معطيات الوجود الإنساني، بمعنى أن الغربة عملية ملازمة لوجود الإنسان، وأن الغربة قدر مكتوب علينا. وفي هذا الإطار يمكن أن نضع أسماء مثل أفلاطون، أبي حيان التوحيدي، بول تيليش. نعم قد تختلف الأسباب والدوافع التي تقف وراء هذا النوع من الاغتراب، ولكن النتيجة في الغالب واحدة، وهي أننا غرباء في هذه الدار، وهي فكرة دينية خالصة (٣).

فمثلاً إذا تتبعنا جذور مفهوم الاغتراب Alienation في كتابات أوائل المفكرين الإغريق، فمن سقراط إلى أفلاطون الذي وجد أنه في حالة اغتراب عن العالم الحسي الذي يعيش فيه، وأن الحياة الحقيقية موجودة في عالم المثل الذي يحوي الحقائق الكلية الخالدة، فخطيئة الإنسان هي التي نزلت به من عالم الآلهة أو عالم المثل عالم الحق والخير والجمال إلى عالم الأرض

(١) انظر ابن القيم/ مدارج السالكين/ ص١٦٢.
(٢) ابن عربي/ الفتوحات المكية/ فصل غربة/ ج٤ ص٢٢٦.
(٣) انظر د. حسن حماد / الاغتراب الوجودي/ ص١٤.

أو عالم الظن والوهم، ومن هذه اللحظة الحاسمة في حياته حدث الاغتراب والعودة من هذا الاغتراب هو بالرجوع إلى عالم المثل (١).

وما عالم المثل بالنسبة لأفلاطون إلى عالم الآلهة الخالدة، فالخطيئة هي التي أحدثت هذا الانفصال، والاتصال عنده بالرجوع إلى عالم الحق، وهذا لن يكون إلا إذا تحرر البدن من قيود الشهوات التي تعيقه عن هذا الرجوع.

يصور لنا أفلاطون في محاورة السفسطائي المعركة القائمة بين المثاليين والماديين، على أنها معركة بين الآلهة والشياطين. فالمثالية عند أفلاطون هي قيام هذه المثل المفارقة في عقل إلهي يمثل عنده صورة الصور أو أعلى المثل درجة وأسماها مرتبة، ولذلك فإن مثالية أفلاطون يصح أن نسميها كذلك بالمثالية الإلهية (٢).

أما مفهوم الاغتراب عند أبي حيان التوحيدي، فيقول: "إذا كان الاغتراب يؤثر من التراب إلى التراب فالحري أن يؤثر الإنسان في الإنسان بالاغتراب؛ لأن الإنسان أيضًا من التراب" (٣).

أما الاغتراب عند بول تيليش فقد عبر عنه "بأنه حالة الوجود هي حالة الغربة... إن الإنسان على نحو ما هو موجود ليس هو ما ينبغي له جوهريًا أن يكون، فهو مغترب عن وجوده الحقيقي".

يعد تيليش الغربة "السؤال" الأساسي المرتبط بالموقف الإنساني، ويرى أنه انطلاقًا من أن مهمة علم اللاهوت هي إيضاح ماهية الإجابات عن

---

(١) انظر د. يحيى هويدي/ مقدمة في الفلسفة العامة/ ص٢٢٢/ دار الثقافة للطباعة والنشر (د.ت).

(٢) المرجع السابق/ نفس الصفحة.

(٣) انظر/ أبا حيان التوحيدي/ الإمتاع والمؤانسة/ ج١ ص٢٩/ (د.ت).

مثل هذه الأسئلة فإن مشكلة الغربة تصبح القضية المحورية التي يتعين على علم اللاهوت أن يعالجها [1].

إذن كل هذه المعاني تعبر – كما سبق أن أوضحنا– عن نتيجة واحدة، وهي أننا غرباء في هذه الدار، وهي فكرة دينية خالصة عبر عنها ابن القيم قديمًا أو عبر عنها ابن عربي أو أبو حيان أو بول تيليش، ولكن في النهاية النتيجة واحدة.

ثانيًا: غربة الحال

يقول إمامنا ابن القيم: "وهذا من الغرباء الذين طوبى لهم. وهو رجل صالح في زمن فاسد، بين قوم فاسدين، أو عالِم بين قوم جاهلين، أو صديق بين قوم منافقين"، يريد بالحال ههنا: الوصف الذي قام به، من الدين والتمسك بالسنة. ولا يرد به الحال الاصطلاحي عند القوم، والمراد به: العالم بالحق، العامل به، الداعي إليه" [2].

وصف فروم حالة الانفراد هذه "بأن جوهر مفهوم الاغتراب هو أن الآخرين... يصبحون غرباء بالنسبة للإنسان، ويعتقد فروم أن أحد جوانب عملية التفرد يتمثل في أن المرء يصبح واعيًا بكونه كيانًا منفصلاً عن الآخرين [3].

وقد جعل الشيخ "الغرباء" في هذه الدرجة ثلاثة أنواع: صاحب صلاح ودين بين قوم فاسدين، وصاحب علم ومعرفة بين قوم جهال، وصاحب صدق وإخلاص بين أهل كذب ونفاق. فإن صفات هؤلاء وأحوالهم

---

(١) انظر/ ريتشارد شاخت/ الاغتراب/ ترجمة كامل يوسف حسين/ ص٢٦٩/المؤسسة العربية للدراسات والنشر/ ١٩٨٠م.

(٢) انظر ابن القيم/ مدارج السالكين/ ص١٦٢، ١٦٣.

(٣) انظر / ريتشارد شاخت/ الاغتراب/ ص١٨٠.

تنافي صفات من هم بين أظهرهم، فمثل هؤلاء بين أولئك كمثل الطير الغريب بين الطيور" (١).

و"الصديق" هو الذي صدق في قوله وفعله، وصدق الحق بقوله وعمله، فقد انجذبت قواه كلها للانقياد لله ورسوله، عكس المنافق الذي ظاهره خلاف باطنه، وقوله خلاف عمله (٢).

ثالثًا: غربة الهمة

وهي غربة طلب الحق، وهي غربة العارف لأن العارف في شاهده غريب، ومصحوبه في شاهده غريب، وموجوده لا يحمله علم، أو يظهره وجد، أو يقوم به رسم، أو تطيقه إشارة، أو يشمله اسم غريب، فغربة العارف غربة الغربة؛ لأنه غريب الدنيا والآخرة (٣).

وقد بين هذا الإمام القشيري حين قال: "للخلق أحوال، ولا حال للعارف؛ لأنه محيت رسومه وفنيت هويته بهوية غيره، وغيبت آثاره بآثار غيره.

وقال الواسطي أيضًا: من عرف الله تعالى انقطع، بل خرس وانقمع.

وقال بعضهم: من عرف الله تعالى تبرم بالبقاء، وضاقت عليه الدنيا بسعتها.

وقيل: من عرف الله ذهبت عنه رغبة الأشياء، وكان بلا فصل ولا وصل (٤).

---

(١) المرجع السابق/ نفس الصفحة.

(٢) ابن القيم/ مدارج السالكين/ ص١٦٣.

(٣) المرجع السابق/ ص١٦٣.

(٤) انظر القشيري/ الرسالة القشيرية/ تحقيق د. عبد الحليم محمود/ د. محمد الشريف/ ج ٢ ص٤٧٨، ٤٧٩.

ويوضح ابن القيم أن هذه الدرجة أعلى مما قبلها؛ لأن الغربة الأولى غربة بالأبدان، والثانية غربة بالأفعال والأحوال، وهذه الثالثة غربة بالهمم.

فإن همة العارف حائمة حول معروفه، فهو غريب في أبناء الآخرة، غريب في أبناء الدنيا.

قوله: " لأن العارف في شاهده غريب" شاهد العارف: هو الذي يشهد عنده وله بصحة ما وجـــد، وأنه كما وجد، وبثبوت ما عرف، وأنه كما عرف" (١).

يوضح ابن القيم أن هذا الشاهد: أمر يجده في قلبه. وهو قربه من الله، وأنسه به، وشدة شوقه إلى لقائه وفرحه به. فهذا شاهد في سره وقلبه، وله شاهد في حاله وعمله، يصدق هذا الشاهد الذي في قلبه.

وله شاهد في قلة الصادقين يصدق هذين الشاهدين. فإن قلوب الصادقين لا تشهد بالزور ألبتة. فإذا خفي عليك شأنك وحالك، فاسأل عنك قلوب الصادقين؛ فإنها تخبرك عن حالك أيضًا (٢).

أيضا يورد الشيخ خمس مراتب ما يجده في شهوده وجدانًا ذاتيًّا حقيقيًّا في هذه المراتب؛ لأن الشهود يشملها كلها حال المشاهدة.

الأولى مرتبة حمل العلم له: فهو أحكام العلم التي متى انسلخ منها انسلخ من الإيمان.

والثانية: مرتبة إظهار الوجد له: قوله: "أو يظهره وجد". الوجد : يظهر أمورًا ينكرها من لم يكن له ذلك الوجد ويعرفها من كان له.وهذا الوجد

---

(١) انظر ابن القيم/ مدارج السالكين/ ص١٦٣.

(٢) المرجع السابق/ ص١٦٥.

وإن شهد له العلم بالقبول. وزكاة: فهو وجد صحيح وإلا فهو وجد فاسد. وفيه انحراف [1].

والثالثة: مرتبة قيام الرسم به، وهي الصورة الخلقية وصفاتها وأفعالها عندهم، والذي يقوم به هذا "الرسم" هو الذي يقيمه من تعلق اسم "القيوم" به. فإن "القيوم" هو القائم بنفسه، الذي قيام كل شيء به، أي هو المقيم لغيره. فلا قيام لغيره بدون إقامته له، وقيامه هو بنفسه لا بغيره [2].

والرابعة: مرتبة إطاقة الإشارة له، أي لا تقدر على إفهامه وإظهاره إشارة، فتنهض الإشارة بكشفه.

والخامسة: مرتبة شمول العبارة له. ومقصوده: أن موجود العارف أخفى وأدق من موجود غيره. فهو غريب بالنسبة إلى موجود سواه، وأخيرًا: إن موجوده في هذه المراتب غريب. فكيف بموجوده الذي لا يحمله علم، ولا يظهره وجد، ولا يقوم به رسم، ولا تطيقه إشارة، ولا تشمله عبارة، فهذا أشد غربة [3].

يقول الشيخ ابن الجوزي: "فغربة العارف : غربة الغربة" و"الغربة" أن يكون الإنسان بين أبناء جنسه غريبًا، مع أن له نسبًا فيهم.

وأما غربة المعرفة: فلا يبقى معها نسبة بينه وبين أبناء جنسه إلا بوجه بعيد؛ لأنه في شأن والناس في شأن آخر، فغربته غربة الغربة.

وأيضًا فالصالحون غرباء في الناس، والزاهدون غرباء في الصالحين، والعارفون غرباء في الزاهدين.

(١) انظر ابن القيم/ مدارج السالكين/ ص١٦٥.

(٢) المرجع السابق/ نفس الصفحة.

(٣) المرجع السابق/ نفس الصفحة.

قوله: "لأنه غريب الدنيا، وغريب الآخرة" [1] يعني: أن أبناء الدنيا لا يعرفونه؛ لأنه ليس منهم، وأهل الآخرة – العباد الزهاد – لا يعرفونه؛ لأنه شأنه وراء شأنهم، همتهم متعلقة بالعبادة، وهمته متعلقة بالمعبود مع قيامه بالعبادة، فهو يرى الناس والناس لا يرونه كما قيل:

تسترت من دهري بظل جناحه فعيني ترى دهري وليس يراني

فلو تسأل الأيام:ما اسمي؟لما درت وأين مكاني؟ ما عرفن مكاني [2]

كان هذا هو مفهوم الغربة والاغتراب كما عبر عنها إمامنا وشيخنا ابن القيم، وقد صنفناها كما ذكرها. ولكن نتساءل كيف يمكننا الربط بين مفهوم ابن القيم في الاغتراب وما يعانيه الإنسان المسلم في عصرنا هذا من عوامل أدت به إلى ما هو عليه اليوم من اغتراب عن دينه وعن ثقافته وعن قيمه.

لقد ناقش كثير من الفلاسفة المعاصرين من أمثال هيجل وماركس وغيرهما كيفية قهر الاغتراب، فمنهم من قال إن قهر الاغتراب يتم حينما يتم التغلب على أنواع عديدة منه مثل اغتراب الوجود المستقل، أو اغتراب البنية الاجتماعية وما إلى ذلك، ولكن إذا ناقشنا كيفية قهر الاغتراب والحالة التي يعيشها الإنسان المسلم في مجتمعاتنا الإسلامية اليوم فسنجد أن هذه الحالة سوف تقهر بعوامل عدة منها:

أولا: الإيمان

وهذا لن يكون إلا بعودة الإنسان إلى معية الله سبحانه **وتعالى**، والرجوع إلى الفطرة السوية الصحيحة التي كان عليها سلفنا الأول **الذي كان**

(١) انظر ابن القيم/ مدارج السالكين/ ص١٦٥.

(٢) انظر المرجع السابق/ نفس الصفحة.

جيلاً مستقيم الفطرة، سوي النظرة، أحسن علاقته بالله في العبادة، وأحسن علاقته بالناس في المعاملات فيما التزمه من خلق وحسن عدالة مطلقة (١).

وقد عرف ابن القيم الإيمان في كتابه "الفوائد" بأنه علم وإقرار ومحبة"، فيقول: وأما الإيمان فأكثر الناس أو كلهم يدعونه، ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢).

وأكثر المؤمنين إنما عندهم إيمان مجمل، وأما الإيمان المفصل بما جاء به الرسول (ﷺ) معرفة وعلمًا وإقرارًا ومحبة، ومعرفة بضده وكراهيته وبغضه - فهذا إيمان خواص الأمة وخاصة الرسول، وهو إيمان الصديق وحزبه (٣).

إذن فالإيمان هو بداية لقهر هذا الاغتراب، وعلاج لهذا المرض اللعين الذي استسلم له الإنسان المعاصر، فسقط بين مخالبه وأنيابه، فالإيمان حصن وأمان لما يواجهه الإنسان المعاصر اليوم من اضطهاد وعدوان خلفه لنا الاستعمار بكل أشكاله وأنواعه.

وكما قال شيخنا الإمام محمد الغزالي: "لجتهد الاستعمار في صرف المسلمين عن دينهم بكل ما يتاح له من وسائل، وقد جعل حركات التحرر الناشطة في بلادهم مبتوتة العلاقة بالدين، حتى تولد ميتة أو تحيا عقيمة، لا ثمر لها ولا زهر، وقد أسماه الغزالي باسم الهدم الروحي وهو أقسى حالات الاغتراب (٤).

---

(١) انظر د. محفوظ عزام/ العقيدة الإسلامية في فكر الشيخ محمد الغزالي/ ص١٥/ دار الصحوة للنشر.

(٢) سورة يوسف آية ١٠٣.

(٣) انظر ابن القيم/ الفوائد / ص١١٥.

(٤) انظر / محمد الغزالي/ مع الله/ دارسات في الدعوة والدعاة/ ص٢٨٩.

فالدين هو الذي يملأ القلوب بالضمائر الحية، وبناء الأخلاق على الفضيلة، وصبغ الحياة بتقاليد جامعة، ومعالم واضحة، ورص الصفوف على إحساس مشترك ودفعها إلى مصير واحد، فإن الاستعمار استهدف إقصاء الدين عن آفاق البلاد كلها، وتكوين أجيال غريبة عنه، إن لم تكن كارهة له [١].

وكيفية الرجوع من هذه الحالة هو ما أسماه ابن القيم الرجوع إلى الله، قال: " وإنما يستقيم الرجوع إليه إصلاحًا بثلاثة أشياء: بالخروج من التبعات وهو بالتوبة من الذنوب التي بين العبد وبين الله.

والتوجع للعثرات، وقد عرفها بأن يتألم الإنسان ويتصدع قلبه لما اقترفه من ذنوب وآثام.

أما ثالثها وهي استدراك الفائتات: فهو استدراك ما فاته من طاعة وقربة بأمثالها، أو خير منها ولا سيما في بقية عمره، عند قرب رحيله، فبقية عمر المؤمن لا قيمة لها، يستدرك بها ما فات، ويحيي بها ما أمات [٢].

إذن فالإيمان الحق عند ابن القيم هو أحد عناصر قهر الاغتراب؛ لأن ابن القيم قد أورد أن هناك من الناس من لم يعرفوا حقيقة الإيمان ولا قاموا به ولا قام بهم، وهم أنواع: منهم من جعل الإيمان ما يضاد الإيمان، ومنهم من جعل الإيمان ما لا يعتبر في الإيمان، ومنهم من جعله ما هو شرط فيه ولا يكفي في حصوله، ومنهم من اشترط في ثبوته ما يناقضه ويضاده، ومنهم من اشترط فيه ما ليس منه بوجه [٣].

وقد عبرت الآيات القرآنية في مواضع عديدة كيف يبعد العبد عن ربه، ويفقد الصلة بينه وبين ربه فينسيه الله نفسه، كقوله تعالى: " نسوا الله

---

(١) المرجع السابق/ نفس الصفحة.

(٢) انظر ابن القيم/ مدارج السالكين/ ص٣٥١.

(٣) انظر ابن القيم/ الفوائد/ ص١١٦.

فأنساهم أنفسهم"، وفي هذا الموضع قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (١).

ويفسر القرطبي هذه الآية بقوله: "وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ " أي تركوا أمره " فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ " أن يعملوا لها خيرًا. قال ابن حبان: نسوا حق الله فأنساهم حق أنفسهم، قال سفيان: وقيل: "نَسُوا اللَّهَ" بترك شكره وتعظيمه. "فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ " بالعذاب أن يذكر بعضهم بعضًا (٢).

ونجد أيضًا في موضع آخر قوله تعالى: ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٣).

وتفسير هذه الآية قوله تعالى: "المنافقون والمنافقات" ابتداء، "بعضهم" ابتداء ثان، ويجوز أن يكون بدلاً، ويكون الخبر "من بعض". ومعنى "بعضهم من بعض" أي هم كالشيء الواحد في الخروج عن الدين. "يحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم" أي ليس من المؤمنين، ولكن بعضهم من بعض، أي متشابهون في الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف، وقبض أيديهم عبارة عن "ترك" الجهاد، وفيما يجب عليهم من حق، والنسيان : الترك هنا، أي تركوا ما أمرهم الله به، فتركهم في الشك. وقيل: إنهم تركوا أمره حتى صار كالمنسي فصيرهم بمنزلة المنسي من ثوابه، وقال قتادة: "نسيهم" أي من الخير، فأما من الشر فلم ينسهم. والفسق : الخروج عن الطاعة والدين (٤).

(١) سورة الحشر آية ١٩.

(٢) انظر أبا عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي/تفسير القرطبي / ج٩/ ص ٦٥٢٢/ دار الريان للتراث.

(٣) سورة التوبة آية ٦٧.

(٤) تفسير القرطبي/ ص٣٣٨/ج٥.

فما بالك بعبد نسيه الله فأنساه نفسه بحالة من الانفصال والاغتراب .

فالإيمان هو الملجأ والملاذ، والحياة الصالحة لا مدد لها في أمتنا إلا من الإسلام. وإذا كان الاستعمار يعمل على الكيد للإسلام، وصرف الناس عنه، وقطع الأواصر بين ضمائرهم وبواعثه، وقد نجح في هذا فليتحصن الإنسان، ويرد هذا الكيد والعدوان بفطنة المؤمن الذي لا سبيل له إلا بالرجوع إلى حظيرة الإيمان، وليكن الإيمان والرجوع إلى الله سلاحنا وهو أقوى وأنجح سلاح.

ثانيًا: الحب

اقترن الإيمان بالحب في العقيدة الإسلامية، وهذا الاقتران يعبر عن أن الإيمان والحب وسيلتان من وسائل قهر الاغتراب وعودة الإنسان إلى معية الأمن والسلام. وهذا يتضح من قول الرسول (ﷺ): "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه من يحب لنفسه" [١].

فالمؤمن اللبيب يحرص كل الحرص على ذلك الحب. فالناس الذين خلقهم الله من نفس واحدة لا بد أن يكونوا أحبة، فهم أخوة في الحياة على سطح هذا الكوكب وأخوة في المصالح المشتركة وأخـوة في المنشأ والمصير [٢].

فالإسلام حين يوقع أنغام الحب هذه كلها فإنها بطبيعتها توازن حب الإنسان لنفسه، وتضعه في وضعه الصحيح الذي لا يظلم ولا يجور، ولا يغتصب لنفسه حقوق الآخرين [٣].

(١) صحيح البخاري/ باب الإيمان/ ج١ ص٢١.

(٢) انظر محمد قطب / مناهج التربية الإسلامية / ج١ ص١٤٠/ دار الشروق/ ١٩٨٩م.

(٣) المرجع السابق/ نفس الصفحة.

فالحب الأخوي تجربة إنسانية إيمانية لا يعيشها الفرد بمفرده بل يذوب فيها داخل الجماعة، وهذا ما عناه هيجل حينما ذهب إلى القول بأن الحب هو عبارة عن الإحساس بالكل" وأن الأشخاص الذين يجمع بينهم الحب لا بد من أن يشعروا بأنهم يكوّنون موجودًا واحدًا [١].

أما ابن القيم فقد عبر عن هذا بقوله: إن منزلة الحب هي روح الإيمان والأعمال والمقامات والأحوال التي متى خلت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه. تحمل أثقال السائرين إلى بلاد لم يكونوا إلا بشق الأنفس بالغيها، وتوصلهم إلى منازل لم يكونوا بدونها أبدًا واصليها.

وقد قضى الله – يوم قدر مقادير الخلائق بمشيئته وحكمته البالغة – أن المرء مع من أحب، فيا لها من نعمة على المحبين سابغة [٢].

إن الاستياء من الاغتراب والعداء قد ولد عند الناس منذ قديم الزمان أحلامًا بإشاعة المحبة لا بين أشخاص منفردين وإنما بين الناس جميعًا [٣].

لذلك يقول هيجل: "إننا منفصلون في الحياة المباشرة، إننا مغتربون، والحب هو الوسيلة لعبور الانفصال والاغتراب، فالحب هو الذي يقهر الانفصال ويقضي على الاغتراب [٤].

إذن يجب أن نفهم أن المحبة ومحبة الآخرين على وجه الخصوص على أنها مطلب يخدم عمليًا مصالح البشرية بأسرها ، وكما "قال الكندي عن

---

(١) انظر / د. زكريا إبراهيم/ مشكلات فلسفية/ مشكلة الحب/ ص١٢٦.

(٢) انظر ابن القيم/ مدارج السالكين/ ص٨/ ج٣.

(٣) معجم علم الأخلاق / ترجمة توفيق سلوم / ص٣٥٨/ الاتحاد السوفيتي/ ١٩٨٤.

(٤) مجاهد عبد المنعم مجاهد/ الفلسفة والحنين إلى الوجود/ ص٧٧/ دار الثقافة للنشر/ ١٩٩١.

المحبة إنها علة اجتماع الأشياء ومطلوب النفس، ومتممة القوة التي هي اجتماع الأشياء، ويقال: هي حال النفس فيما بينها وبين شيء يجذبها إليه" (١).

وكما يرى بول تيليش أن الحب ليس مجرد عاطفة، بل الحب في نظره قوة للخروج من تناهي الإنسان ليعانق في الآخر اللاانتاهي، ويحقق بهذه الوحدة المفقودة (٢).

وإدراك الإنسان لما في الحب من قوة يكون هو الباعث نحو وحدة المنفصل واستعادة الوحدة نفترض لتلك الذي يتواجد معًا - أن الحب بدئي لأن الوحدة بدئية، ثم حدثت الزلزلة وتزعزعت الأساسات، وظهرت هوة الانفصال أمام الإنسان. وبقوة الحب يمكن للإنسان أن يتغلب على الزعزعة والزلازل معًا (٣).

ولكن الحب لا بد أن يكون قوة إيجابية كما يعبر عن ذلك أريك فروم: "فالحب ليس قوة عليا تهبط على الإنسان، ولا هو واجب مفروض عليه ذاته قوته التي بها يرتبط بالعالم ويجعله عالمه حقًا، الحب هو حالة إيجابية وليست سلبية، الحب نشاط، الحب هو العطاء أساسًا وليس التلقي.

إن فروم يريد أن يعلمنا فن الحب، فالحب موقف إزاء الكون، الحب رؤية تجاه الحياة (٤).

---

(١) انظر / الكندي/ الرسائل الفلسفية / تحقيق د. محمد عبد الهادي أبو ريدة/ ص١٦٨/ دار الاعتصام بمصر/ ١٩٥٠.

(٢) انظر/ بول تيليش/ الحب والقوة والعدالة/ ترجمة كامل يوسف حسين/ ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد / ص١١/ دار الثقافة للنشر.

(٣) المرجع السابق/ نفس الصفحة.

(٤) أريك فروم/ فن الحب/ ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد/ ص١٥/ مكتبة الأنجلو المصرية/ ١٩٥٦م.

فالحب عند أريك إيقاظ للنفس لتخرج من جزئيتها وتعانق شموليتها، وهذا الإيقاظ معانقة للإنسانية".

وهذا الحب هو المثمر، "الحب الأصيل الذي يكمن في الإنتاجية؛ ولهذا يمكن أن نسميه الحب المنتج، وعلامات هذا الحب هو "العناية والمسئولية والاحترام والمعرفة " (١).

وإذا كان الحب في المفهوم المعاصر لا بد أن يكون قوة إيجابية تتسم بالنشاط والعطاء فهو كذلك وأكثر في عقيدتنا الإسلامية، فما من إنسان يتمسك بعقيدته قرآناً وسنة إلا كانت له حصناً وأماناً ضد سقطات الاغتراب وهوة الانفصال، فديننا أفعال وليس أقوالاً. ويتضح ذلك من خلال عوامل مؤثرة هي التي تساعد على عودة الحب والتفاعل بين الناس منها على سبيل المثال وليس الحصر.

١- محبة الإنسان لأهل دينه، قال تعالي: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾.

٢- محبة الجار؛ لأنه امرؤ شديد العلاقة بك كثير الروابط، وإن كان من بني وطنك وهو الغالب فهذه علاقة ثانية، وإن كان مؤمناً فهذه علاقة ثالثة، وقد سنت الشريعة الإسلامية للجار كثيرًا من الحقوق. وفي صحيح البخاري قال رسول (ﷺ): "ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه" (٢).

٣- محبتك لأهل وطنك فأنت في وطن تحبه وتحرص على خيره، وسكانه إخوان تودهم وتعمل لصالحهم، بل تحب الناس جميعًا وتعاملهم بالمعروف؛ لأنهم يخدمونك، وإن نأت الديار واختلفت

(١) المرجع السابق/ نفس الصفحة.

(٢) صحيح البخاري/ باب الوصاية بالجار / ج١٨/ ص٤٣٠.

المذاهب، إن كنت تشعر من نفسك بذلك فأنت إنسان كامل محب لوطنك [1].

٤- العودة إلى الله والالتزام بأوامره ونواهيه التي جاءت من خلال القرآن والسنة.

٥- البعد عن الأنانية وحب الذات، وأن يحب الإنسان لغيره من يحب لنفسه.

فلكي تحتمل المحبة بمعناها المثالي ينبغي أن تكون خالصة لله تعالى، وبغير ذلك تصبح محبة الأشخاص تبعًا للهوى وبغرض تحقيق مآرب خاصة أو ما شابه ذلك [2].

فالمحبة لا بد أن تكون خالصة يتجسد فيها البعد الإنساني للإنسان، والاعتراف بدوره الخلاق القادر على العطاء والحب.

الخاتمة

وبعد. اختتمت هذا البحث بعاملين مهمين من عوامل قهر الاغتراب ألا وهما الإيمان والحب. وهما يحملان في طياتهما كل المعاني الإنسانية النبيلة والسامية من إخلاص وإيثار وصدق وقيم أخلاقية عالية، فمن تحصن بهما كانا له عونًا وحصنًا لهذا الاغتراب. فكما سبق أن بينا أن الاغتراب يجعل الإنسان عاجزًا عن أن يكون ذاته، ويفشل أيضًا في أن يحقق تواصل مع عالمه الذي يحياه ومع الآخرين.

وهذا ما عبر عنه شيخنا الجليل الإمام ابن قيم الجوزية الذي قسم الاغتراب إلى درجات وأنواع، مبينًا أن الاغتراب إما اغتراب الإنسان عن

---

(١) انظر / سلطان بك محمد / الفلسفة العربية والأخلاق/ ج١/ ص١٥٧، ١٥٨/ مطبعة المعارف/ الفجالة مصر (د.ت).

(٢) انظر / د. مصطفى حلمي / قواعد المنهج السلفي/ ص١٥٥/ دار الدعوة ١٩٨٤م.

ذاته؛ وبالتالي انفصاله عن الآخرين، أو اغتراب إيماني وهو اغتراب أهل الدين في زمان فسد فيه الناس، أو غربة أهل الباطل بين أهل الحق، وهناك غربة أخرى وضحها، وهي غربة لا تذم ولا تحمد وهي غربة الإنسان عن الأوطان. كل هذه الأنواع تنطوي كلها تحت مفهوم الاغتراب الديني، وهو النظرة التي بمقتضاها يغترب الإنسان عن الله ويخرج عن طريقه أو الانفصال عن الآخرين والأنس بالله.

ووضحنا من خلال هذا البحث أن هناك اختلافًا بين الاغتراب من المنظور الإسلامي الذي ينطوي الاغتراب فيه على معنى ديني عن الاغتراب في المفهوم المعاصر خاصة عند هيجل وماركس؛ لأن الاغتراب الديني عندهما هو مجال يضيع فيه وبه الإنسان.

ورغم هذا الاختلاف في المضمون إلا أن وضع كل هذه الآراء على بساط المناقشة يبين نقاط الالتقاء ونقاط الاختلاف، فكل هؤلاء كان هدفهم تحرير الإنسان من سقطة الاغتراب، ولقد استطاع ابن القيم أن يجد حلاً لهذا المفهوم، وهو عودة الإنسان المغترب إلى وجوده الأصيل من خلال موجوده وخالقه، فالاتصال والتواصل مع الله لا يمكن أن يولد هذا الشعور، ولكن الأنس بالله لا يعني الانعزال عن الآخرين، فيجب أن يعيش المسلم ويقف موقفًا إيجابيًا من ذاته الإنسانية، وأن يكون عنده ثقة في قدرة هذه الذات على الخوض في تجربة التواصل مع العالم ومع الآخرين.

لذلك أرى أن هذا البحث اتفق في نقطة جوهرية، كفكر قديم تلاقى مع الفكر المعاصر في أن الحب هو وسيلة من وسائل قهر الاغتراب، وقد عبر عن ذلك ابن القيم، وكذلك كثير من الفلاسفة المعاصرين مع التأكيد على أن للإسلام نظرية أصيلة وعميقة في الحب، وقد أكد القرآن وأكدت السنة على هذه المعاني التي تخلق حالة من التوازن عند الإنسان المسلم وتجعله في

علاقة ود وتواصل مع ربه ومع ذاته ومع الآخرين. وقد بينا هذا في متن هذا البحث.

خلاصة القول أن الإيمان والحب من قبل الإنسان، والود الرحمة من قبل الله تعالى- كلها عوامل تقف في مقابل الاغتراب وكفيلة بالقضاء عليه.

قائمة المصادر والمراجع العربية

١- ابن عربي / الفتوحات المكية / ج ٤/ (د.ت).

٢- ابن قيم الجوزية / مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين / تحقيق عماد عامر / دار الحديث / ٢٠٠٣م.

٣- ابن قيم الجوزية / الفوائد / مكتبة الدعوة بالأزهر/ القاهرة.

٤- ابن منظور / لسان العرب/ المؤسسة المصرية للتأليف والنشر / (د.ت).

٥- أبو حيان التوحيدي / الإمتاع والمؤانسة / ج١/ مكتبة الأسرة / ٢٠٠٠.

٦- أبو القاسم عبد الكريم القشيري/ الرسالة القشيرية/ تحقيق عبد الحليم محمود، محمود بن الشريف/ ج٢ / دار المعارف/ (د.ت).

٧- أبو عبد الله بن أحمد الإنصاري القرطبي/ تفسير القرطبي/ ج٩/ دار الريان للتراث/ (د.ت).

٨- أريك فروم / فن الحب / ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد / مكتبة الأنجلو المصرية / ١٩٥٦م.

٩- الكندي / الرسائل الفلسفية / تحقيق د. محمد عبد الهادي أبو ريدة/ دار الاعتصام بمصر / ١٩٥٠م.

١٠- بول تيليش/ الحب والقوة والعدالة / ترجمة كامل يوسف حسين/ ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد / دار الثقافة للنشر/ (د.ت).

١١- د. حسن حماد/ الاغتراب الوجودي/مكتبة الأنجلو المصرية/ ١٩٩٥م.

١٢- ريشتارد شاخت/ الاغتراب / ترجمة كامل يوسف حسين / المؤسسة العربية للدراسات والنشر/ ١٩٨٠م.

١٣- زكريا إبراهيم/ دراسات في الفلسفة المعاصرة/ دار مصر للطباعة والنشر.
١٤- زكريا إبراهيم/ مشكلات فلسفية/ مشكلة الحب/ (د.ت).
١٥- سلطان بك محمد / الفلسفة العربية والأخلاق/ ط١/ مطبعة المعارف بالفجالة مصر/ (د.ت).
١٦- سمير الفقي/ بين عقلانية الصوفية وشطح الأنثربولوجيا/ (د.ت).
١٧- عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري/ صحيح البخاري/ دار إحياء الكتب العربية / ١٢٩٣هـ.
١٨- عبد المنعم الحفني/ المعجم الصوفي/ دار الرشيد / ط١ ١٩٩٧م.
١٩- عبد المنعم الحفني/ موسوعة الفلسفة والفلاسفة / مكتبة مدبولى / ط٢ / ١٩٩٩م.
٢٠- مجاهد عبد المنعم مجاهد/ الفلسفة على شجرة المستقبل/ دار الثقافة للنشر والتوزيع / القاهرة / ٢٠٠١م.
٢١- مجاهد عبد المنعم مجاهد / الفلسفة والحنين إلى الوجود / دار الثقافة للنشر والتوزيع/ ١٩٩١م.
٢٢- محمد الغزالي/ مع الله / دراسات في الدعوة والدعاة/ (د.ت).
٢٣- محمد عبده/ الإسلام بين العلم والمدنية/ (د.ت).
٢٤- محمد قطب/ مناهج التربية الإسلامية/ ج١ / دار الشروق/ ١٩٨٩م.
٢٥- الرازي/ مختار الصحاح/ القاهرة / المطبعة الأميرية/ ببولاق/ ١٣٥٥هـ - ١٩٣٧م.
٢٦- د. محمود رجب/ الاغتراب سيرة ومصطلح / دار المعارف/ ط ٤ / ١٩٩٣م.

٢٧- محمود عزام/ العقيدة الإسلامية في فكر الشيخ محمد الغزالي/ دار الصحوة للنشر/ (د.ت).
٢٨- د. مصطفى حلمي/ قواعد المنهج السلفي/ دار الدعوة/ ١٩٨٤م.
٢٩- معجم عالم الأخلاق/ ترجمة توفيق سلوم/ الاتحاد السوفيتي/ ١٩٨٤م.
٣٠- د. يحيى هويدي/ نحو الواقع مقالات فلسفية/ دار الثقافة والنشر والتوزيع (د.ت).
٣١- د. يحيى هويدى/ مقدمة في الفلسفة العامة/ دار الثقافة للطباعة والنشر/ (د.ت).
٣٢- يوسف كرم/ مراد وهبة/ يوسف شلالة/ المعجم الفلسفي/ القاهرة/ ١٩٦٦م.